

مقالة سادسة

﴿ في تاريخ الموارد في القرن الثالث عشر ﴾

﴿ عدد ٣٥ ﴾

﴿ في فتح المسلمين جبة بشري ﴾

قال البطريق اسطفانس الدويهي في تاريخ سنة ١٢٨٣ « قد وفقنا على كتابين للصلاة كتب احدهما سنة ١٥٩٤ لاسكندر (الموافقة لسنة ١٢٨٣ للميلاد) في قطين الرواديف في ارض الحدث بقرب دير القديس يوحنا بدير مار ابون الذي كان الاسقف ابرهيم الحدي مقيماً به والثاني كتب بعد الاول بمئتين واحد وعشرين سنة اي سنة ١٨١٥ لاسكندر وهي سنة ١٥٠٤ وقد كتب في كلا الكتابين انه في شهر ايار سارت العساكر الاسلامية الى فتح جبة بشري وصعدت الى وادي حيرونا شرقي اطرابلس وحاصروا قرية اهدن حصاراً شديداً وملكوها بعد اربعين يوماً في شهر حزيران وسلبوا ما وجدوا فيها وخرّبوا القلعة التي كانت في وسطها والحصن الذي على راس الجبل (ان هناك الآن كنيسة تسمى سيدة الحصن) ثم انتقلوا الى بقوفا ففتحوها في شهر تموز وقبضوا على اكبرها واحرقوهم بالبيوت ودكوها الى الارض واكثروا من النهب والسلب وبعد ان اعملوا السيوف باهل حصرون وكفر سارون وذبحوهم في الكنيسة زحفوا في ٢٢ آب الى الحدث فهرب اهلها الى العاصي وهي منارة منيرة فيها صهريج ماء فقتلوا من ادركوه وخرّبوا الحدث وبنوا برجاً قبالة المغارة وانفوا حامية من العسكر ثم هدموا جميع الاماكن الحصينة ولم يستطيعوا سيلاً الى فتح

قلعة حوقا التي قبالة الحدث فاشار عليهم ابن الصبحا من كفر سغاب ان يجروا اليها الماء الذي فوق بشري فعملوا وملكوها بقوة الماء لانها كانت داخل الصخر واذنوا لابن الصبحا ان يلبس عمامة بيضاء وان تقوم العميد بخدمته ولما تراجع المسكر ندم ابن الصبحا على ما كان منه وبني دير سيدة حوقا لسكن الرهبان وهو بالقرب من البرج الذي كان في الصخر « لانك في صحة هذه الرواية لان الدويهي خير ثقة وقد صرح بانه نقلها عن كتاب خط تلك السنة اي سنة ١٢٨٣ التي كانت فيها هذه النكبة فيظن ان الاسقف ابراهيم الحدي الذي كان يسكن دير مار ابون هو الذي كتب خبر هذه الحادثة باثر وقوعها على كتاب الصلوة طبق عادة اسلافنا التي نعلم لها امثالا كثيرة ويويد ذلك تفصيل الخبر وتعيين الاماكن على ما نعلمها الآن مع الايام التي فتحت بها كل قرية وقد جاء في كتاب التمر الحسان خبر هذه الواقعة كما ذكرنا الا بتاء ابن الصبحا دير حوقا ولم يات ذكر بشري في هذا الفتح مع انها واقعة بين بقوفا وحصرون فلا يخلو اهل ذكرها من احد امرين اما انها لم تكن ذات اهمية حينئذ اما ان المسلمين نكبوا عنها لانها كانت منيعة كثيرة السكان والاضر عندنا الثاني لاننا نعلم انها كانت قبل هذه الكبة وبمدها ماهولة بخناق كثير وينسب العمل كله اليها وكان فيها مقدمون اصحاب بطش وصولا كما سترى فالاولى ان نقول ان المسلمين نكبوا حينئذ عنها على ان فتح هذه البلاد حينئذ لم يكن الا غزوة عابرة على عادة تلك الايام ولم يتوطن المسلمون فيها بل قصدوا التكيل باهلها ربما لانهم نجدوا الفرج في حروب المسلمين الاخيرة لهم كما يظهر من اخبار حربهم الاتي ذكرها مع اهل كسروان ونرى بقوفا واهدن والحدث بعد مدة وجيزة عاصمة ماهولة بالنصارى الموارنة

* عدد ٣٦ *

* في حروب كسروان *

الحرب الاولى كانت في اواخر القرن الثالث عشر واوائل الرابع عشر نزوي اخبار هذه الحروب عن المؤرخين المسلمين اولاً ثم زدتها باخبار المؤرخين النصارى جاء في كتاب تاريخ بيروت لصالح بن يحيى الذي نشره الاب لويس شيخو اليسوعي في المجله العربية الموسومة بالمشرق قال صالح « في شهر شعبان سنة ٦٩١ هـ سنة ١٢٩٢ م توجه الامير بيدرا (من ممالك الملك المنصور قلاوون) قائد السلطنة بمصر وقصد جبال كسروان وتوجه بصحبه من الاصراء الاكابر شمس الدين سنقر الاشقر والامير قراسنقر المنصوري والامير بدر الدين بكتوت الاتابكي والامير بدر الدين العلاتي وغيرهم واتاهم من جهة الساحل ركن الدين بيبرس طقصوا والامير عز الدين ابيك الحموي وغيرها والتقوا بالجبل وحضر الى الامير بيدرا من ثني عزمه وكسر حزمه فحصل الفتور في امرهم حتى تمكن الكسروانيون في بعض المسكر في تلك الاوعار ومضايق الجبال فقالوا منهم وعاد المسكر شبه المكسور المهزم وطمع فيهم اهل تلك الجبال حتى اضطر الامير بيدرا ان يطيب فلوبهم ويحسن اليهم وخلع على جماعة من اكبرهم فاشتطوا في الطلب فاجابهم الى ما التمسوه من الافراج عن جماعة منهم كانوا قد اعتقلوا بدمشق لذنوب وجرائم صدرت منهم وحصل للكسروانيين من القتل والنهب والظفر ما لم يكن في حسابهم وحصل للاصراء والعسكر من الالم ما اوجب تسريح بعضهم لسؤ تدبير الامير بيدرا ونسبوه الى اهل امرهم واتهموه بالفتور عن قتالهم حتى تمكنوا مما تمكنوا منه لطمعه واشاعوا انه تبرطل منهم واخذ رشوة كبيرة واحتج الناس بذلك » هذا ما قاله صالح بن يحيى وذيله الاب شيخو بجاشية قال فيها « ورد خبر غزوة الامير بيدرا لكسروان في تاريخ الممالك للمقرئزي

وتفاصيله لا تختلف عما ذكره المؤلف هنا »

وقال صالح المذكور بعد ما مر « ثم توجه الامير بيدرا بالعساكر الى دمشق فلتقاه السلطان واقبل عليه وترجل عند ترجله للسلام عليه ولما انكر عليه سؤا عتماده وتقريطه في المسكر عمل كلام السلطان فيه حتى مرض لذلك وشيع الناس انه سقي السم ثم عوفي ٥٠٠ وكان الذي اخبر السلطان ان بيدرا ارتشى من الكسروانيين ييبرس طقصوا فاسراً بيدرا الامر في نفسه وتربص له ولما قبض السلطان على لاجين خاطب بيدرا السلطان في القبض على ييبرس طقصوا فقبض عليه مع لاجين لانه كان قد تزوج ابنته »

والذي رواه البطريرك اسطفانس الدويهي في تاريخه ان الكسروانيين والجرديين كانوا قد زلوا من الجبال لنجدة الفرنج عند حصار اطرابلس وقتلوا من عسكر السلطان خلقاً كثيراً فبرز امر حسام الدين لاجين نائب دمشق الى قراسنقر ان يجمع العساكر الشامية ويحرف بها لاستئصالهم واستشهد الدويهي ان سباط فقال « قال ابن سباط وكتب ايضاً الى اثنين من اصراء غرب بيروت جمال الدين حجي بن محمد التوخي وزين الدين بن علي انه اذا بانفهما توجه المقر الشمسي سنقر المنصوري بالعساكر المنصورة الى جوة الجرد وكسروان يتوجهان اليه بعساكرهما وان من نهب امرأة كانت له جارية او صبياً كان له مملوكاً ومن احضر منهم راساً فله دينار وان سنقر المذكور متوجه لاستئصال شاقمهم وسبي ذرارهم هذا ما رواه الاهدني في تاريخ سنة ١٢٨٧ ولا شك في انه مقدمة لما ذكره صالح ولم يعد يذكر حرباً في كسروان الا في سنة ١٣٠٢ انتصر بها الكسروانيون كما سيأتي فظن انه فاته العلم بما كان من الامر الذي ابرزه حسام الدين لاجين فلم يذكر الدويهي حرب سنة ٦٩١ هـ وسنة ١٢٩٢ م التي ذكرها صالح ابن يحيى وكان قايدها بيدرا نائب السلطان بالشام بل ذكر الحرب التي كانت سنة ١٣٠٢

ويؤيد حصول هذه الحرب قول صالح بن يحيى ان العساكر الشامية توجهت سنة ٧٠٥ هـ الى جبال كسروان « وهي النوبة الثانية في ايام السلطان الملك الناصر محمد ابن المنصور » فالحرب الاولى التي ذكرها سنة ٦٩١ هـ كانت في ايام الملك الاشرف خليل بن قلاوون لا في ايام الملك الناصر وحرب سنة ٧٠٥ هـ هي النوبة الثانية في ايام الملك الناصر الذي ولي الملك سنة ٦٩٣ ثم خلفه كتبغا سنة ٦٩٤ ثم رد اليه سنة ٦٩٨ وعهد حينئذ ببناء السلطنة بالشام الى جمال الدين الافرم الا في ذكره كما مر في تاريخنا هذا وهذا ما قاله الاهدني في هذه الحرب الثانية « سنة ١٣٠٢ م (سنة ٧٠٢ هـ) نزل القرنيح على نهر الدامود ايلة الاربعا ثامن جمادي الاوّل فقتل هناك فخر الدين عبد الحميد بن جمال الدين التوخي واسراخوه شمس الدين عبد الله فاقتداه ناصر الدين الحسين بن خضر بثلاثة آلاف دينار فرفعت الشكاوي الى نائب دمشق الافرم من الجرديين واهل كسروان قال ابن الحريري انه في هذه السنة اجتمع الثواب جمال الدين اقوش الافرم نائب دمشق وسيف الدين استدمر نائب اطرابلس وشمس الدين سنقر المنصوري وحشدوا جيوش الشام الى مقاتلة الجرديين واهل كسروان فاجتمع مقدمو الجبال واستعدوا للقاء الجيش فهزموه وقتلوا كثيرين وغنموا غنيمة كبيرة قال الاسقف جبرائيل ابن القلاعي ان الواقعة كانت عند مدينة جيبيل وان المقدمين الذين نزلوا من الجبال كانوا ثلاثين مقدماً وثمانمئودون منهم خالد مقدم مشمش وسانق واخوه سليمان مقدما ايليح وسعادة وسركيس مقدما لحفد وعنتر مقدم العاقورة وبنياه بن مقدم حردين ورتبوا التي مقاتل كانوا على نهر القيدار والقيين على نهر المدفون ثم انحدروا بثلاثين الف مقاتل لقتال الجيش فوقعوا بجمدان القائد على الطريق منفرداً فقتلوه وحملوا على الجيش فهزموه واهلكوا اكثره وغنموا امتعتهم وسلاحهم واخذوا اربعة آلاف راس خيل من خيلهم وقدم الاكراد لبيدتهم

فصدهم المكنون في الفيदार والمدفون فلم يخلص منهم الا القليل وقتل من الامراء
التوخية (اصحاب غرب بيروت) نجم الدين محمد واخوه شهاب الدين احمد
ولدا جمال الدين حجي ثم غزا الجرديون بلادهم واحرقوا منها عين صوفر وشلمك
وعين زونة وبحطوش وغيرها من بلاد الغرب وقتل (في وقعة جيل) من
المقدمين بنيامين مقدم حردين ودفنوه عند باب الاركاز في جيل ثم صعدوا الى
معاد واقتسموا الغنائم »

اما الحرب الثالثة فاليك ما قاله فيها صالح ابن يحيى « ومما نقلناه عن النويري
والصلاح الكتبي في فتوح كسروان ما روي من جملة حوادث سنة ٧٠٥ هـ
(سنة ١٣٠٥ م) وذكرنا توجه العساكر الشامية الى جبال كسروان وابادة اهلها
وتمهيدها وهي النوبة الثانية في ايام السلطان الملك الناصر محمد بن المنصور فتمالا
« كان اهل كسروان قد كثروا وطفقوا واشتدت شوكتهم وتناولوا الى اذى
العسكر عند انهزامه من التتر في سنة ٦٩٩ هـ (سنة ١٣٠٠ م) واغضى السلطان
عنهم وتمادى في عقابهم فزاد طغيانهم واطفروا الخروج من الطاعة (ربما اشاروا
بهذا الى ما ذكرناه من الحرب الثانية) واعتزلوا بجبالهم المنيمة ووثقوا بجموعهم
الكثيرة وعللوا النفس بانه لا يمكن الوصول اليهم » انتهى ما نقله صالح عن
النويري والصلاح الكتبي

ثم اخذ صالح في تفصيل الخبر فقال « قفي ذي الحجة سنة ٧٠٤ هـ (سنة
١٣٠٤ م) جهز جمال الدين آتش الافرم نائب الشام زين الدين عدنان ثم توجه
بعده تقي الدين قراقوش وتحدينا معهم في الرجوع الى الطاعة فابوا فاصر عند ذلك
بتجريد العساكر اليهم من كل جهة ومن كل مملكة من ممالك الشام وتوجه آتش
الافرم من دمشق بسائر الجيوش في يوم الاثنين الثاني من محرم سنة ٧٠٥ هـ
(سنة ١٣٠٥ م) وجمع جمعا كبيرا من الرجال نحو خمسين الفا وتوجهوا الى

جبال الكسروانيين والجرديين وتوجه سيف الدين استدمر نائب اطرابلس وشمس الدين منقر جاه المنصوري نائب صفد وطلع استدمر المذكور من جهة اطرابلس وكان قد نسب اليه مباظنتهم فجرد العزم واراد ان يفعل في هذا الامر ما يفي عنه هذه المهمة فطلع الى جبل كسروان من اصعب مسالكه واجتمعت على اهله العساكر واحتوت على جبالهم ووطئت ارضاً لم يكن سكانها يظنون ان احداً يطأها وقطعت كرومهم واخربت بيوتهم وقتل منهم خلق كثير وتفرقوا في البلاد واستخدم استدمر جماعة منهم في اطرابلس بجامكية وجازاهم من الاموال الديوانية فاقاموا على ذلك سنين واقطع بعضهم املاكاً « انتهى كلام صالح بن يحيى

وهذا ما جاء في تاريخ البطريك اسطمانس الدويهي « في سنة ٤١٣ م (سنة ٧٠٤ هـ) ارسل اقوش الافرم نائب دمشق الى الجليليين والكسروانيين الشريف زين الدين بن عدنان يامرهم ان يصلحوا شؤونهم مع التوخية ويدخلوا في طاعتهم ثم ارسل اليهم تقي الدين بن التيمية في صحبة بهاء الدين فراقوش (تأمل المطابقة بين الدويهي وصالح باسما هولاء المنذرين) فلم يحصل اتفاق فافتى العلماء حينئذ نهب بلادهم لاستمرارهم على المصيان ولذلك جردت العساكر من جميع بلاد الشام ولم تزل الجموع تزداد من كل ناحية الى سلخ (آخر) هذه السنة

وسنة ١٣٠٧ م (سنة ٧٠٧ هـ) نرى هنا زلة قلم من الناسخ بتعيين هذه السنة والصواب سنة ٧٠٥ لانه اذا كان اقوش امر بجمع العساكر واجتمعت سنة ٧٠٤ الى اخرها فلا يظن انه اخر مسيره الى سنة ٧٠٧ بل سار في اول سنة ٧٠٥ وقد اتفق كلاهما صالح والدويهي على تعيين يوم الاثنين ثاني محرم ذكر ابن الحريري وابن سباط انه في يوم الاثنين ثاني محرم سار اقوش الافرم نائب دمشق بخمسين الفاً بين فارس وراجل الى جبل الجرد وكسروان التي حيال

بيروت فجمع الدروز رجال الجرد وكانوا عشرة اصراء بشرة آلاف مقاتل
 والتقت الجموع عند عين صوفر وجرى بينهم قتال شديد وكانت الدائرة على
 الاصراء فهربوا بحريتهم واموالهم واولادهم ونحو ٣٠٠ نفس واحتموا في غار
 غربي كسروان يعرف بمغارة نيبية فوق انطلياس بالقرب من مغارة البلانة
 فدافعوا عن انفسهم ولم يقدر الجيش ان ينال منهم ثم بذلوا لهم الايمان فلم
 يخرجوا فأصر نائب دمشق ان يبثوا على الغار سداً من الحجر والكس وهالوا
 عليه تلاً من التراب وجعلوا الامير قطاو بك حارساً عليهم مدة اربعين يوماً حتى
 هلكوا داخل الغار

ثم احاط العسكر بتلك الجبال (اي جبال كسروان) ووطئوا ارضاً لم يكن
 اهلها يظنون ان احداً من خلق الله يصل اليها فخرّبوا القرى وقطعوا الكروم
 وهدموا البيع وقتلوا واسروا جميع من صادفوا من الدروز والكسروانيين وغيرهم
 فذات تلك الجبال المنيعه بعد عزتها وفي ١٨ جمادي الاخرى ركب بالشرابيش
 علي الدين البعلبكي وسيف الدين بكنمر وبكر الدين بكناش وحسام الدين لاجين
 وعز الدين خطاب المراقي وتوجهوا لاجل عمارة الجبل (اي تامين السكان الذين
 لم يستطيعوا الفرار واسكان عشائر من المسلمين في السواحل كما سيأتي) وحفظ
 مينا البحر مع الجماعة الذين ساروا من دمشق الى بيرة ت... واصر الملك الاصر
 محمد بن قلاوون تركان الكورة ان يزلوا في ساحل كسروان ليحافظوا عليه من
 الفرنج وهم اهل عساف وسوف تأتي على ذكر هولاء

واما من هم الذين ساهم صالح بن يحيى الجرديين وساهم الدويهي في
 اول كلامه الجلبانيين فلا شك في انهم غير الكسروانيين اذ ذكر المؤرخين المذكورين
 فريقين لا فريقاً واحداً ونرى انهم سكان العمل المسمى الى الان الجرد ومن قراه
 رشيا وشارون وبتار وبحمدون وانهم كانوا دروزاً ويظهر ان هولاء لم يكونوا

في طاعة الامراء التتوخيين حكام الغرب وكانوا يسطون على بلادهم وقد صرح
الدويهي بان نذير اقوش امرهم ان يصلحوا شؤونهم مع التتوخية وكان قتل
الاميرين التتوخيين عند الدامور يعزى الى هولاء الجرديين والكسروانيين معاً
اذ روى الدويهي انه بعد وقعة الدامور رفعت الشكوى الى نائب دمشق من
الجرديين والكسروانيين ويظهر ان الدروز الجرديين والموارنة الكسروانيين كانوا
حينئذ متفقين ويؤيده هرب الجرديين بعد ان دارت عليهم الدائرة في عين صوفر
الى غربي كسروان الى نيبه وانطلياس التي كانت حينئذ من كسروان وكان تيممه
من الغرب والجنوب نهر الجمعاني

✽ عد ٣٢ ✽

✽ بطاركة الموارنة في القرن الثالث عشر ✽

فرغنا من الكلام على هولاء البطاركة في القرن الثاني عشر بذكر وفاة
البطريك ارميا وخلفه بعد وفاته دانيال الاول قال الدويهي في سلسلة البطاركة
انه كان من شامات من عمل جبيل وقطن اولاً في دير القديس قبريانوس بكيفيان
ثم انتقل الى دير القديس مارون بكفرحي وانه انتخب سنة ١٥٤١ يونانية اي سنة
١٢٣٠ م على ما كتب يعقوب بن يوحنا البتروني (وفي نسخة اخرى البشراوي)
على كتاب فرض القديسين الصيفي الذي طالعه في كنيسة القديس سابا ببشري
وكتب هناك ايضاً ان هذا البطريك كان ساكناً سنة ١٢٣٦ في دير القديس
جيورجوس في الكفر وهي من عمل جبيل

قال الدويهي يظهر من سلسلة البطاركة التي ذكرناها اولاً ان بطريكاً اسمه
يوحنا كان بين ارميا وسمعان الاقي ذكره وروى تكويان ان الدويهي قال بعد
ذلك انه لم يتوصل الى معرفة البطريك الذي صير بعد يوحنا فامسى الامر غامضاً
لا يتهيء الى وجه بيانه والذي اراه بفكرتي القاصرة انه ربما كان يوحنا هذا بعد

ارميا وقبل دانيال الشاماتي المار ذكره وقد ابنا في كلامنا على ارميا المشيقي
 تردنا في القطع بان ارميا بقي في البطيركية من سنة ١١٨٣ الى سنة ١٢٣٠ اي
 سبعا واربعين سنة فلا ارى مانعا من ان نفترض ان يوحنا هذا الذي لم يهتد
 الدويهي ولكويان الى زمانه كان في المدة التي انقضت من بعد عود ارميا من رومة
 سنة ١٢١٦ الى سنة ١٢٣٠ التي قالوا ان دانيال الشاماتي صير فيها بطيركا
 ويكون هذا وجه التوفيق وازالة الغموض الحاصل في هذا المبحث والله اعلم

وصير بعد ذلك سمعان وقد ذكره الياس من معاد في حاشية علقها على
 كتاب فرض سبة الآلام الذي نسخته سنة ١٢٤٥ قال فيها « كان النجاز منه في
 ايام ساداتنا البطيريك سمعان صاحب الكرسي المدوح مدينة الله انطاكية والمطران
 سمعان بجبل لبنان في سنة ١٥٥٦ لليونان » وهي سنة ١٢٤٥ للميلاد وقال اركويان
 ان كان سمعان هو الذي خلف يوحنا فيكون هو الذي روى بياجوس ترسي في
 كتابه الموسوم بسورية المقدسة المطبوع برومة سنة ١٦٩٥ صفحة ٥٢ انه لما اخذت
 انطاكية من يد الفرنج النجاء اليه كثيرون من الكاثوليكيين سكانها فقبلهم واكرم
 مشواهم في لبنان وكتب الى البابا اسكندر الرابع يخبره بحالتهم وشديد تعلقهم
 بالكرسي الرسولي فاجابه البابا مثنياً على اهتمامه وغيرته ومسمياً اياه بطيركا انطاكياً
 قال الدويهي ان نسخة هذه الرسالة ما برحت مصاةة عندنا الى الان في دير قنوبين
 (وهي الى اليوم ايضاً في خزانة بطيركيتنا) وفي كتاب الفقيط الصيفي الذي
 وقع بيدنا في كنيسة القديس سابا في بشري وجدنا مكتوباً انه كان بعد حياً في
 سنة ١٢٧٧ ولم نجد له خبراً ولا اثرأ بعد ذلك ولا علمنا من خلفه ولكن وجدنا
 مكتوباً على صخر في الحائط النري من دير ميفوق عند تجديد بناء هذا الدير

حفظه الله تعالى

حفظه الله تعالى وترجمه انه في سنة ١٥٨٨ لليونان (سنة

١٢٧٧ تم يعقوب هذا هيكل والدة الله صريم وقال فمن يكون يعقوب هذا الذي جدد هذا الدير ونسب اليه لا نستطيع ان نقول الا انه كان بطريكاً لانه قبل هذا التجديد وبعده كان هذا الدير مأوى للبطاركة وقيل انه اندفن فيه سبعة بطاركة قدا وقد ذكرنا هذا الخط في الكلام على دير ميفوق ولكن النسخة المحضرة لنا كتب فيها مكان **مدهدهم** اي كل بناء هذا الهيكل فرما شوست الايام حروف الكلمة وكانت في ايام الدويهي اظهر للقراءة او ان الساخ لنا توهم من كلمة **مدهدهم** فلا تكون دالة على ار للماقبة فككتب موضعها **دهدهم**

وصير بعد ذلك دانيال الثاني وجاء في الكتاب الموسوم بسورية المقدسة ان دانيال هذا خلف سيمان سنة ١٢٨١ وقال الدويهي « انه كان من حدشيت من عمل بشري » وقد كتب القس يوحنا الراهب الذي من حجولا في اخر كتاب تكريس الميرون ما يأتي « كل هذا الكتاب في سنة ١٥٩٢ لاسكندر (توافق سنة ١٢٨١) في ايام ايننا المختار البطريرك دانيال من حدشيت » ونرى صورته الى الان في كنيسة انقديس رومانوس بالقرية المذكورة وقد وردت اليه براءة تثيت من البابا نيتولاوس الثالث (الذي كان على السدة البطرسية من سنة ١٢٧٧ الى سنة ١٢٨١) ومما تضمنته الامر له بان يكون الميرون من زيت الريتون والبلسم لا غير وانتخب بعد دانيال الحدشيني لوقا وكان من بنهران بسفح لبنان من عمل بشري وروى الدويهي ان انتخابه كان في سنة ١٢٨٣ التي فيها فتحت المساكر الاسلامية جبة بشري كما مر وقد وهم جبرائيل اسقف لافقسية بقبرس المروف بان القلامي ان هذا البطريرك مال الى قول راهبين تشبثا بضلال ابولينار ان المسيح لم تكن فيه نفس بشرية بل ناب عنها اللاهوت وزاغا عن الايمان الصحيح فارسل الحبر الروماني يندرههم فلم يشأ البطريرك قبول قصاد البابا

ومما قاله ابن القلاعي

والبطيريك ما واد يقبلهم
كثير الشر وصادوا غرضين
في ذا السبب ابنا برجين
سمع بذلك السلطان برقوق
ارسل عساكر تحت وفوق
يسمى لوقا من بهران
ونار الانشقاق من اجل اثنين
وقسموا الملك في ذاك الان
وانفتح له باب كان مغلق
تحاصر في جبل لبنان

على ان الدويهي افرد الفصل التاسع من كتابه في رد الهم لتفنيد قول ابن القلاعي هذا مثباً ان هذا الضلال لم يكن بلبنان قط وان ايام هذا البطيريك كانت موعبة بالحروب على الموارنة في جبة بشري وكسروان فلم يكن وقت لاشتغال الشعب او روائه بالباحث الدينية وقد آهمه بياجيوس صاحب الكتاب الموسوم بسورية المقدسة انه اتبع بدعة المشيئة الواحدة فقام عليه الرساء والشعب وعقدوا مجمماً حطوه فيه عن مقامه البطيريك واقاموا مكانه البطيريك جبرائيل من حجولا سنة ١٢٩٠ وهمة البطيريك لوقا بهذا الضلال باطلة ولا مسند لها ولو افترضت صحيحة لتين منها غيرة الموارنة على الايمان القويم بحطهم بطيريكهم وقد روى الدويهي على ما ذكر لكويان في كلامه على بطاركة الموارنة انه بمد لوقا اقيم البطيريك جبرائيل من حجولا سنة ١٢٩٠ وهذا هو الظاهر من كلام بياجيوس في كتابه سورية المقدسة كما رويناه قيل هذا وانه نال التثيت من الحر الروماني (البابا نيقولاوس الرابع) وانه نال اكيل الشهادة في خارج مدينة اطرابلس سنة ١٢٩٦ وان مدفنه يعرف اليوم بالشيخ مسعود في جانب المحل المسمى تل الرمل في هذه المدينة واحصاه الموارنة في عدد شهدائهم هذا ما رواه كويان وعقبه بقوله « على انه يظهر من الكتاب القديم الذي هو الثامن عشر من كتب الحاتلي بالكتابة الوايتكانية ان جبرائيل هذا كان بمد هذا المصر فقد

ذكر السمعاني الكتاب المذكور في فهرست الكتب المعلق على المجلد الاول من مكتبته الشرقية صفحة ٥٧٧ وهو كتاب لابن القلاعي وقال ان في جملة ما حواه قصيدة لابن القلاعي « في البطريرك جبرائيل من حجولا الذي قضى شهيداً للايمان الكاثوليكي في اطرابلس سنة ١٣٦٧ الا ان يكون وقع غلط في تعيين تلك السنة وادع الحكم في ذلك لعلماء الموارنة » انتهى كلام لكويان

وجاء في سلسلة بطاركة الموارنة التي اخذها المعلم رشيد الشرتوني عن الدويهي ونشرها في المجلة الموسومة بالمشرق ان هذا البطريرك نال اكايل الشهادة في اطرابلس سنة ١٣٦٧ وهذا يوافق ما رواه السمعاني كما ذكرنا قبلاً لكنه يخالف ما رواه لكويان عن الدويهي كما قدمناه في هذا المحل وكثيراً ما وجدنا ما رواه لكويان عن سلسلة الدويهي يخالف نسختها العربية ولا شك في ان ترجمتها اللاتينية التي اعتمد عليها لكويان هي اصلح واسلم من التحريف والغلط ومن جهة اخرى لا نعلم اذا كان السمعاني عين سنة ١٣٦٧ برأي نفسه او نقلها على سبيل الحكاية عن ابن القلاعي الذي كشف له المتأخرون كثيراً من الخطأ في تعيين السنين والذي يظهر لنا مرجحاً ان البطريرك جبرائيل هذا رقي الى البطريركية سنة ١٢٩٠ ونال اكايل الشهادة سنة ١٢٩٦ اعتماداً على ترجمة سلسلة الدويهي اللاتينية التي هي اصلح واسلم من النسخة العربية التي كانت بيد المعلم رشيد المذكور ويؤيد ذلك ما نعلمه حق العلم من ان المسلمين لم تسبق لهم المعادة بان يسطوا على النصراني لا سيما رؤساء الدين جهاراً وتصميماً الا في وقت الحرب وقد رأيت ان المدة من سنة ١٢٨٣ الى سنة ١٣٠٥ كانت موعبة بالحروب في جبة بشري وكسروان فضلاً عن الحروب مع الفرنج ولا نعلم حصول شيء من هذه الحروب في لبنان سنة ١٣٦٧ ولذلك نرجح استشهاد هذا البطريرك كان في اواخر القرن الثالث عشر لا بعد نصف القرن الرابع عشر

وقام بعد البطريك جبرائيل البطريك سمعان ونرجي الكلام عليه الى تاريخ
القرن الرابع عشر

✽ عد ٣٨ ✽

✽ في رد ما يحتاج به على الموارنة من كلام الابا اينوشنسيوس الثالث ✽
ان خصوم الموارنة يحجونهم بفقرة وردت في رسالة انقذها اينوشنسيوس
الثالث سنة ١٢٥١ الى البطريك ارميا والمطارنة والاساقفة وروساء الاديار
والاكليس والشعب الموارنة وقد اثبت العلامة البطريك اسطفانس الدويجي
ترجمة هذه الرسالة برمتها في الفصل الثامن من كتابه في رد اتهم فالعبارات
التي يحجج الموارنة بها من هذه الرسالة هي قوله في من افاض الله عليهم سوابغ
نعمه فارعوا عن الضلال « كما بلغنا وسرا انه جرى لكنيسة الروم ولكم في هذه
المدة فانكم سابقاً كنتم كالحراف الضالة غير عالين ان خطية المسيح واحدة . . .
وان الراعي الصالح واحد وهو السيد المسيح . . . ولما ارسلنا قبلاً الى نواحيكم
المرحوم الكردينال بطرس كاهن كنيسة القديس مرشلوس رجتم بالهام الرب
الى راعيكم واستغف نفوسكم وفهتتم اتنا نحن رأس الاحبار ونائب المسيح على
الكنيسة الجامعة . . . ولما كان الكردينال المذكور علم انكم تحتاجون الى بعض
امور اجتهد في ايضاحها لكم حسب مآل الامر الرسولي واوصاكم بان تقرؤا بعزل
عن كل ريب بما تمسكت به الكنيسة الرومانية وهو ان الروح القدس ينبثق من
الابن كما ينبثق من الاب . . . وان تحفظوا في المعمودية هذه الصورة اي ان
الثالوث الاقدس يذكر مرة واحدة في التغطيسات الثلث لا اكثر وان سر
التثيت يتصرف به روساء الكهنة دون غيرهم . . . وان تومنوا ان في المسيح
طبيعتين ومشيتين الهية وانسانية وهذه الوصايا ولو كنتم قبتموها في ما سلف
قبول الطائمين الخاضعين الا ان اعادتها عليكم الاز لاجل تاكيدها واثباتها »

فهذه هي العبارات المحتج بها

وقد رد العلامة الدويهي في الفصل المذكور زعم من حجوا الموارنة بهذه العبارات واثبت ان الموارنة براء من التهمة بالضللال وان هذه العبارات لا تصلح ان تكون حجة عليهم به وصنع كذلك المرحوم البطريرك بواس مسعد في عدة مواضع من كتابه الموسوم بالدد المنظوم اي صفحة ١٢١ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٧٦ فوان لم اقس بهذين العلامتين فقد حذوت حذوها في كتابي الموسوم بروح الردود واسميت برد زعم خصومنا باحتجاجهم علينا بكلام البابا المذكور

والان اقول ان في رسالة البابا اينوشنسيوس الثالث هذه نفسها فقرتين اخريين يتبين منها جلياً ان الموارنة لم يكونوا على ضلال وادعوا عنه حينئذ الفقرة الاولى هي قوله « وانت ايها الاخ البطريرك لما كنت قبلاً في مدينة اطرابلس مع قوم من مطارنتك اعني يوسف مطران قزحيا وناوادورس اسقف كنفرو وجمع كبير من الكهنة وجمهور وافر من الخاضعين لك حلفت انت وهم عن نفوسكم وعمن يتعلق بكم بمحضرة بعض اساقفة ورهبان وشمامسة في المدينة المذكورة اليمين على مثال الصورة التي يتعهد بها المطارنة بالطاعة للكرسي الرسولي » فحلف يمين الطاعة على مثال الصورة التي يتعهد بها الاساقفة بالطاعة للكرسي الرسولي ايس هو ادعوا عن ضلال ولا يكتفي لمن كان ضالاً بحلف مثل هذا اليمين بل الاكتفاء بها دايلاً بين وبينه قاطعة على ان من ابرزها لم يكن من ذوي البدعة والضللال

والفقرة الثانية هي قوله « ثم انما ثبت لك بسلطاننا الرسولي كراسي المطارنة والاساقفة الاتي ذكرها وناصر اصحابها بالخضوع للكرسي كنيسة السيدة في يانوح ايها الاخ البطريرك الذي ولاك الله رياستها وان يكونوا طائعين لك ولخلفائك نعمي مطارنة قزحيا وجبة بشري واساقفة النيطرة ورشعين وكنفرو

وعرقا . . . ونثبت لك النعم المعتادة الحاصل عليها انت واسلافك في الكنيسة الانطاكية الى هذا الآن وبالسطان الرسولي تمنحها لك والذين يتخلفون بمدك « ومما لا ريب فيه ان من خرج عن الكنيسة او زاع عن ايمانها خسر بزيغاته نفسه الحقوق والنعم وما اعتاد ان يكون له فيها فان كان بطريك الموارنة واسلافه قد تسكروا بالبدعة كيف يثبت ايتوشنسيوس الثالث انعم او الحقوق او الاستعمالات الحاصل عليها لا البطريرك ارميا وحده بل اسلافه ايضا في الكنيسة الانطاكية الى الان ولو كان هولاء الاسلاف اصحاب بدعة لما بقي لهم حقوق ولا ائمتها البابا لهم وقد ابنا ان البطريرك ارميا الموجهة اليه هذه الرسالة قد انتخب بطريركا سنة ١١٨٣ اي بعد سنة واحدة من الارعواء المدعى به على الموارنة واعتمدنا في هذا على ما خطه ارميا نفسه بيده . واسلاف ارميا الذين اثبت لهم ايتوشنسيوس حقوقهم او عوايدهم في الكنيسة الانطاكية هم يوسف الجرجسي الذي ارسل قصاده مع قصاد الملك غودفروا الى رومة سنة ١٠٩٩ بطب التمثيت فانعم عليه به البابا بسكالس الثاني سنة ١١٠٠ ثم غريغوريوس الحلاقي الذي ارسل اليه البابا ايتوشنسيوس الثاني الكردينال غوايلدوس سنة ١١٣١ يخبره انه هو البابا الشرعي لا بطرس دي لاون الذي تدخل على الكرسي الروماني فحلف البطريرك واساقفته بين الطاعة لايتوشنسيوس كما حلف روساء الفرنج الذين كانوا حينئذ بسورية الى غير هولاء من بطاركة الموارنة والحادان المذكوران هنا رواها الكويان في كلامه على بطاركة الموارنة في المجلد الثالث من المشرق المسيحي

فالبابا ايتوشنسيوس الثالث اثبت اذا با فقرتين اللتين ذكرناهما ان الموارنة لم يكونوا هراطقة فكيف يخرج قوله في الفقرة الاولى « انكم كنتم ضالين وان الكردينال امركم ان تعتقدوا ان في المسيح طبيعتين ومثيتين » ان لذلك مخرجين الاول ان البابا تكلم في هذه الفقرة على بعض الموارنة الذين كان اتباع توما الكفرطابي قد

من جددوا الضلال كروم اطرابلس ومن جحدوا اتحادهم بالكنيسة الرومانية
 وحلفوا يمين الطاعة للبحر الروماني كالموارنة وقد صرح البابا اينوشنسيوس الثالث
 بان بطريك الموارنة واساقفته ومن حضر في اطرابلس من كهنته وشعبه حلفوا
 هذه اليمين على هذه الصورة كما رأيت في كلامه الذي اوردناه آنفاً